إعداد الزاد

الناشر: المكتب المصرى الحديث

٢ شارع شريف عمارة اللواء بالقاهرة - تليفون: ٣٩٣٤١٢٧

٧ شارع سوبار المنشية - الاسكندرية - تليفون: ٤٨٢٦٦٠٢

عبد الحميد كشك

أعد الزاد

« يا ايها الناس اتقوا ربكم
واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده
ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
ان وعد الله حق » .

المكتب المصرى الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد الذى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، ومحا الظامة ، وكشف الغمة ، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين . اللهم اجزه عنا خير ما جزيت به نبياً عن أمته ، ورسولا عن قومه وبعد :

فهذا كتاب يشتمل على وصية غالية . قالها تقى الدين الحسن البصرى رضي الله عنه . وأسداها إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . قال له : يا أمير المؤمنين صم عن الدنيا ، وافطر على الموت ، وأعد الزاد لليلة صبحها يوم القيامة .

ولعل القارىء يجد فى سطور هذا الكتاب غذاء للروح ، وضياء فى القلب وروحانية صافية تنير له مسالك الحياة إذا ما أظلمت ، وتأخذ بيده من كثافة المادة إلى لطافة الروح ، وتسمو بنفسه من غياهب الظلمات وفلول الدجى إلى باذخ العلياء ، بحيث يتربع على قمة شماء من الصفاء الروحى ، ويقف بنفسه إلى نورانيات قول البارى تبارك وتعالى : (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) .

ونبدأ موضوعنا الأول بهذا الباب الذى يحدثنا عنه العلماء ، ويعنونون له بعالم البرزخ ، وهو عالم ما بعد الموت .

فما هو البرزخ ؟

قال السادة العلماء :

البرزخ هو الواقع بين الشيئين والمراد بالبرزخ فى الآية الكريمة (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) هو العالم الذى ينتقل إليه الإنسان بعد الموت ، ويبقى فيه إلى يوم البعث ، فهو عالم واقع بين الدنيا وبين عالم الآخرة ، وهذا أول البرازخ الذى يدخل فيها الإنسان إلى الآخرة ، ويسمى عالم القبر ، وهو ما يصير إليه الإنسان من حيث جسمه . فحيثما صار إليه الجسم بعد موته فهو قبره . واو فى أعماق البحار . على أن تسميته بعالم القبر هى أغلبية ، لأن جميع الأموات يصيرون إلى عالم البرزخ ، قبروا أم لم يقبروا ، فإنهم بعد الموت دخلوا فى عالم آخر غير عالم الدنيا دخولا حقيقياً وهو عالم البرزخ .

وعن هانىء مولى عثمان بن عفان قال : كان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى فتذكر القبر فتبكى ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه » . (رواه الترمذى) .

وكان عثمان رضى الله عنه ينشد :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة
وإلا فإنى لا أخالك ناجيـــــا

فأمر البرزخ ولبثهم فى القبور مؤقت كزيارة الزائر الموقتة ، ثم المصير إلى ما وراء ذلك . قال الله تعالى :

(ألهـكم التكاثر حتى زرتم المقابر) .

يعنى شغلتكم أولادكم وأموالكم ، والتكاثر فيها والتنافس عليها ، حتى متم وزرتم القبور . والزيارة إنما تكون مدة مؤقتة ، ثم ينتقل الزائر إلى منزله الذى يقيم فيه ؛ وذلك إما الجنة بالنسبة للمؤمن وإما جهنم بالنسبة للكفار .

روى ابن حاتم عن ميمون بن مهران قال : كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ : (ألهكم التكاثر حتى زرتم المقابر) فلبث هنيهة — أى مـــدة من الزمن — ثم قال : يا ميمون ما أرى القبر إلا زيارة وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله . أى الجنة أو النار .

وسمع بعض الأعراب رجلا يتلو هذه الآية (حتى زرتم المقابر) فقال الأعرابى : بعث القوم ورب الكعبة ، يعنى أن الزائر سيرحل عما قريب من مقامه إلى غيره .

ويسمى عالم الصور . لأن أرواح الأموات تجتمع فيه . قال تعالى : (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً) .

وقد أمرنا الشارع أن نسلم على الأموات ، ونقوم على قبورهم ، لأنهم يسمعون ويشعرون كأهل الدنيا ، بل أقوى ولو كانوا لايسمعون سلاماً ، ولا يرون على قبورهم قائما ، لكان السلام والقيام على قبورهم عبثاً ، وهذا لا يقع فى شرع الله الحكيم العليم البتة .

ولكنهم لا يسمع لهم جواب ولا خطاب ، لأنهم فى برزخ فى الآخرة الخفية عن الأبصار ، إلا لمن كشف الله تعالى له عن ذلك كالأنبياء صلوات الله عليهم ، وبعض الأولياء رضى الله عنهم .

كما أن عالم المنام برزخ بين عالم الأشباح وبين عالم الأرواح . وتظهر فيه بعض أحكام عالمى الأشباح والأرواح ، ومن هنا سمى النوم وفاة ، كما سمى الموت وفاة ، لتشابههما بعض الشبه وإن اختلفت حقيقة الوفاتين . فإن التوفية معناها الأخذ والقبض ، تقول توفى دينه — أو استوفاه .

وقد جاءت التوفية فى القرآن على ثلاثة أنواع : توفية النوم : (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) .

وبهذه التوفية تتوجه الروح لعالم آخر مع بقائها فى الجسم ، فالحياة ثابتة فى الجسم لم تفارقه ، ولكنها توجهت إلى عالم برزخى ، بين عالم اليقظة وبين عالم الأرواح .

وتوفية الموت ، قال تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها) وبهذه التوفية تقبض الروح من الجسم ، فلا حياة فيه كما كان من قبل ، فتلتحق الروح بعالم البرزخ بين الدنيا والآخرة .

وتوفية فيها قبض الروح والجسم معا ، والأخذ بهما إلى عالم آخر ، قال تعالى فى عيسى عليه السلام : (إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) .

فقوله تعالى لعيسى إنى متوفيك أى قابضك إلى جسما وروحاً ، (ورافعك إلى) أى رافع جسمك وروحك إلى لأحفظك مما هم به أعداؤك وهو القتل .

ولا يصح أن تفسر التوفية هنا بالموت الذى هو قبض الروح ، لأنه يصير المعنى حينئذ : إنى متوفى روحك إلى ، ورافع روحك إلى ، فى حين أن روح كل مؤمن بعد موته ترفع إلى الله تعالى ، وتفتح لها أبواب السماء كما تقدم . وليس ذلك خصوصية لعيسى عليه السلام .

على أن تفسير التوفية لعيسى بالموت ، يتنافى حينئذ مع قوله تعالى : (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) ، وهذا — وهو إيمان أهل الكتاب كلهم بعيسى — لم يحصل ، فموته لم يحصل إذاً ، لأن عيسى عليه السلام لا يموت حتى يؤمن به جميع أهل الكتاب ، حتى اليهود ، إيماناً حقاً ، ومن لم يؤمن به يقتله عيسى عليه السلام ، وهذا لم يقع ولكنه سوف يقع بعد ، حين ينزل فى آخر الزمان قرب الساعة .

كما أن تفسير التوفية لعيسى عليه السلام بالموت لا يصح ، لأنه يتنافى مع الآية قبل هذه الآية وهى قوله تعالى : (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى) .

فمكر الله سبحانه وتعالى بالذين قصدوا قتله ، هو أنه سبحانه رد مكرهم عليهم بأن أنجى عيسى وقبضه جسما وروحاً ، ورفعه الله حفظاً منهم ، وألقى الشبه على الذى حاول قتله فقتلوا الشبيه، وهذا من باب المكر بهم ورد مكرهم عليهم .

على أننا لو تتبعنا كيف مكر الله تعالى بالماكرين برسله صلوات الله عليهم ، لرأينا أن الله تعالى قد حفظ رسله من أعدائهم ، ورد مكر أعدائهم ، ولم يمت رسله بل سلمهم ونجاهم ؛ قال تعالى فى الذين مكروا برسول الله صالح عليه الصلاة والسلام : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) .

وقال تعالى فى كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

وكان مكر الله تعالى بهم أن حفظ رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأخرجه من بين صفوفهم سالماً آمناً وهم لا يرونه .

وهكذا عيسى عليه السلام . لقد حفظه الله تعالى ، ومكر بالماكرين به . ورفعه إلى السماء الثانية حتى يحين نزوله قبيل الساعة .

قال تعالى : (وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها) .

فنزول عيسى من علامات الساعة الكبرى كما جاء فى الأحاديث النبوية المتواترة .

تحت هذا العنوان يحدثنا الأستاذ الفاضل عبد الله سراج فى كتابه « الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها » فيقول ما نصه :

اعلم أن لقاء الله تعالى هو حق ، وقد دلت النصوص القرآنية والنبوية على أن هناك عدة لقاءات يلقى بها العبد ربه ، وأولها لقاء العبد ربه عقب الموت . ثم هناك لقاء فى الحشر ، ثم لقاء عند الحساب وعند الميزان ، وعند عقبات الصراط . وهكذا لقاءات تتلو لقاءات إلى أن يدخل الجنة فهناك اللقاء والرؤية الدائمة .

أما لقاء الله تعالى عقب الموت ، فقد قال الله تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون) أى يوقنون أنهم ملاقو ربهم عقب موتهم ، وأنهم إليه راجعون يوم القيامة بعد حشرهم من قبورهم .

وقد جاء ذلك فى عدة من الأحاديث النبوية .

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال :

« إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها — قال حماد الراوى — فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال : ويقول أهل السماء : روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه ، فينطلق به إلى ربه عز وجل (ربه) ثم يقول :

انطلقوا به إلى آخر الأجل . قال : وإن الكافر إذا خرجت روحه — قال حماد — وذكر من نتنها وذكر لعنا — ويقول أهل السماء : روح خبيثة ، جاءت من قبل الأرض فيقول : انطلقوا به إلى آخر الأجل . قال أبو هريرة : فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة كانت عليه على أنفه هكذا » .

والريطة هى ثوب رقيق ، أو الملاءة . وفعل ذلك كما هو شأن من شم رائحة خبيثة كيف يضع على أنفه ما يمنع تلك الرائحة المستقذرة ؟

وقد جاء حديث أبى هريرة هذا فى مسند الإمام أحمد بلفظ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا : أخى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب أخرجى حميدة ، وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان ، قال : فلا يزال يقال لها حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقال : مرحباً بالروح الطيبة كانت فى الجسد الطيب أدخلى (أى السماء) حميدة ، وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان قال : فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل (أى السماء التى يتجلى الله تعالى له فيها) .

وفى رواية فى المسند عن البراء حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة وفى رواية أنه سبحانه يتجلى للمؤمن باللقاء فى ذلك الموطن .

وإذا كان الرجل السوء قالوا : أخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت

فى الجسد الخبيث . أخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج . فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقال : لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث . ارجعى ذميمة فإنك لا تفتح لك أبواب السماء فيرسل من السماء ويصير إلى القبر . (الحديث) .

وقال الله تعالى : (كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق) ، والمعنى : ازدجر أيها العاقل عما أنت فيه من الفساد والضلال والغفلة ، وتذكر ذلك اليوم الذى يأتى عليك إذا بلغت الروح التراقى — جمع ترقوة ، وهى أعالى الصدر والعظام المكتنفة ثغرة النحر عن يمينه وشماله (وقيل من راق) القائل ذلك إما الناس وهم من حضر عنده من أقاربه وأصحابه حين رأوه فى تلك الحالة ، فقال كل منهم من يرقيه مما هو فيه رقية يشفى بها ويذهب عنه ما هو فيه من المرض ، وإما القائل ذلك هم الملائكة عليهم السلام لبعضهم أيكم يرقى بروحه ، أى يعرج بها إلى السماء ؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب حتى يأمر الله تعالى أحدهما بذلك . قال تعالى : (والنازعات غرقا) أى الملائكة تنزع روح الكافر بشدة (والناشطات نشطا) أى الملائكة تنزع روح المؤمن بسهولة ورفق فيكون ذلك من الرق لا من الرقية .

ويؤيد هذا المعنى ماجاء فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب

(أى عابد ليس بعالم) فأتاه فقال له : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله ، فكمل به مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم . فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة . . فقال نعم ، من يحول بينك وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فمشى حتى إذا انتصف الطريق فأتاه ملك الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب . فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلا بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم (أى حكماً) . فقال : (أى عن أمر من الله تعالى) قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى — أقرب — فهو له فقاسوا ، فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أرنى ، فقبضته ملائكة الرحمة . وفى رواية : إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها . وفى رواية : فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى ، وقال : قيسوا بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فقط » ، وفى رواية الطبرانى أقرب بأنملة .

(وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق) والمعنى أن ذلك المحتضر أيقن أنه صار فى فراق للدنيا مالها وأهلها ، والتفت عليه شدة الفراق ، فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة ، وهو الدخول فى عالم غريب عنه ، لا أنيس معه ولا جليس ولا صديق ولا رفيق إلا أهل الإيمان والعمل

الصالح فإنهم لا يشقون ولا يشقى بهم جليسهم ، يحل الله تعالى عليهم الأمانة والرضوان فهم فى عيش طيب .

(إلى ربك يومئذ المساق) أى يقال لذلك المحتضر : اليوم تساق إلى الله تعالى ، وإلى حكم أحكم الحاكمين .

وهذه الآية كما قال بعضهم رضى الله عنهم — بشارة للمؤمن الذى حسن ظنه بربه تعالى ، وعلم أن المساق إلى الرب الذى سبقت رحمته غضبه ، وإنذار للكافر الذى لم يؤمن ولم يوقن بالآخرة .

روى الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال :

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت به فى الأرض ، فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً . ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع عن الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس . معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا مد من البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان . قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى — أى فم السقاء — أى بسهولة ورفق ، فيأخذها — أى ملك الموت — فإذا أخذها لم يدعوها — أى لم يتركوها — فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك

الكفن ، وفى ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على سطح الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة . فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له ، فيشيعه من سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة . فيقول الله تعالى : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى فيها خلقتهم وفيها أعيدهم وفيها أخرجهم تارة أخرى . قال فتعاد روحه فى جسده . فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولون له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله فيقولون له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام فيقولون : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله فيقولون له : وما علمك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينادى مناد من السماء : أن صدق عبدى فأفرشوه فى الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة . قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له من قبره مد بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يسرك . هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يأتى بالخير . فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول العبد الميت : رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى .

قال صلى الله عليه وسلم : وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، سود الوجوه ، معهم المسوح (أى الجلود الغليظة) فجلسوا منه مد البصر ، ثم يجىء

ملك الموت فيجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة . أخرجى إلى سخط من الله وغضب . قال : فتفرق فى جسده فينزعها كما ينزع السفود (أى حديدة ذات شوك) من الصوف المبلول فيأخذها ملك الموت ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى المسموح ، فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هـذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى بها إلى السماء ، فيستفتح له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » .

فيقول الله تعالى : « اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى . فتطرح روحه طرحا ، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) .

فتعاد روحه إلى جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى ، فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه فى النار ، وافتحوا له باباً من النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوءك . هذا يومك الذى

كنت توعد فيقول : ما أنت فوجهك القبيح يجيء بالشر فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول رب لا تقم الساعة . أى خوفاً من دخول النار التى فتح إليه باب منها .

ثم أخبر سبحانه عن الإنسان الكافر وسوء عاقبته ، فقال سبحانه (فلا صدق — أى بالآخرة وعقابها — ولا صلى ولكن كذب وتولى) . « الآيات »

الى أين تصير الأرواح حين تخرج من الجسد

ويجيب الإمام القرطبي رحمه الله تعالى عن سؤال « إلى أين تصير الأرواح حين تخرج من الجسد » .

يحدثنا قائلا : روى الحافظ أبو نعيم رضى الله عنه : إن الملائكة ترفع الأرواح حتى توقفها بين يدى الله عز وجل ، فإذا كان من أهل السعادة ، قال سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة . فيسيرون بها فى الجنة على قدر ما يغسل الميت ، فإذا غسل وكفن وأدرجت بين كفنه وجسده ، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام من تكلم بخير أو تكلم بشر ، فإذا وصل إلى المصلى وصلى عليه ودفن ردت فيه الروح ، وقعد ذا روح وجسد ، ودخل عليه الملكان الفتانان فسألانه .

وكان عمرو بن دينار رضى الله عنه يقول : ما من ميت إلا وروحه فى يد ملك ينظر فى جسده . كيف يكفن ، وكيف يغسل ، وكيف يمشى به ، ويجلس فى قبره . زاد فى رواية أنه يقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك — يعنى بخير أو بشر — وقد حكى عن يحيى ابن أكثم أنه رئى فى المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟

فقال : أوقفنى بين يديه وقال : يا شيخ السوء فعلت كذا وكذا ؛ فقلت يارب ما بهذا حدثت عنك ، فقال فبم حدثت عنى يا يحيى . فقلت حدثنى معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك سبحانك تباركت وتعاليت أنك قلت : إنى لأستحى أن أعذب ذا شيبة شابت فى الإسلام . فقال : صدقت وصدق معمر وصدق الزهرى وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق جبريل عليه السلام ، قد غفرت لك .

ورئى محمد بن نباتة فى المنام بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك . فقال أوقفنى بين يديه الكريمتين وقال لى : أنت الذى تخلص كلامك حتى يقال ما أفصحه ما أفصحه . قلت : سبحانك إنى كنت أصفك . فقال : قل كما كنت تقول فى دار الدنيا . قلت : أبادهم الذى خلقهم ، وأسكتهم الذى أنطقهم ، وسيوجدهم كما أعدمهم ، وسيجمعهم كما فرقهم . قال : صدقت . اذهب فقد غفرت لك .

وذكر الإمام الغزالى فى كتابه كشف علوم الآخرة أن الملك إذا قبض النفس السعيدة تناولها ملكان حسنا الوجه عليهما أثواب حسنة ، ولهما رائحة طيبة ، ولفوها فى حرير من حرير الجنة ، وهى مثل شخص الإنسان ، ولم يفقد من عقله ولا من علمه المكتسب فى دار الدنيا شىء . فيعرجون به فى الهواء ، فلا يزال يمر بالأمم السالفة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر حتى يأتى إلى سماء الدنيا ، فيقرع الأمين

الباب ، فيقال له من أنت ؟ فيقول : أنا صلصائيل وهذا فلان بأحسن أسمائه وأحبها إليه ، فيقولون : نعم الرجل ، كان محافظاً وكانت عقيدته جازمة غير شاك فى شيء منها ، ثم ينتهى إلى السماء الثانية فيقال له من أنت ؟ فيقول مثل مقالته الأولى ، فيقولون أهلا وسهلا كان محافظاً على صلاته بجميع فرائضها ، ثم ينتهى إلى السماء الثالثة فيقرع الباب . فيقال من أنت ؟ فيقول مثل مقالته الثانية والأولى ، فيقولون نعم الرجل فلان كان يراعى حق الله تبارك وتعالى فى ماله ولم يتمسك منه بشيء . ثم ينتهى إلى السماء الرابعة فيقرع الباب ، فيقال له من أنت ؟ فيقول كما قال فى الثالثة وما قبلها ، فيقال أهلا بفلان كان يصوم فيحسن الصوم ويحفظه من أدران الرفث وحرام الطعام . ثم ينتهى إلى السماء الخامسة فيقرع الباب فيقال له من أنت ؟ فيقول كما قال فى السماوات قبلها فيقولون أهلا وسهلا بفلان ، أدى حجه الواجب لله تعالى من غير سمعة ولا رياء . ثم ينتهى إلى السماء السادسة فيقرع الباب فيقال له من أنت ؟ فيقول كما قيل فى السماوات قبلا فيقال له : مرحباً بالرجل الصالح والنفس الطيبة كان كثير البر بوالديه ، ثم يمر حتى ينتهى بالسماء السابعة ، فيقال له من أنت ؟ فيقول كما مر ، فيقال مرحباً بفلان كان كثير الاستغفار فى الأسحار ، ويتصدق فى السر ، ويكفل الأيتام . ثم يمر حتى ينتهى إلى سرادقات الجلال فيقرع الباب فيقال : من أنت : فيقول كما قال قبل ذلك ، فيقال أهلا وسهلا بالعبد الصالح والنفس الطيبة . كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكرم المساكين . ثم يمر بملأ كثير من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير

ويصافحونه حتى ينتهى إلى سدرة المنتهى ، فيقرع الباب فيقال كما مر — يعنى من أنت ؟ فيقول مثل ما قال قبل ذلك ، فيقال أهلا وسهلا بالرجل. كان عمله خالصاً لوجه الله عز وجل .

ونكتفى بهذا القدر الذى ورد فى كتاب الإمام الغزالى ، فإننا نرى من معراج الروح إلى أن تتمثل بين يدى الله عز وجل : نرى أن الأعمال الصالحة هى التى تزكيها وترفعها وتشرفها وتجعل الملائكة تحتفى بها إلى أن يقول الله للملائكة : أدخلوا روح عبدى (فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة) .

فاللهم إنا نسألك منازل الصالحين ، وجنات النعيم ، إنك أنت التواب الرحيم .

وقد رووا أنه قد رئى منصور بن عمار رضى الله عنه فى المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه وقال : بماذا جئتنى يا منصور . قلت بثلاث مائة وستين ختمة للقرآن . فقال : ما قبلت منها واحدة قلت بثمان وثلاثين حجة . قال : ما قبلت منها شيئاً . قال : بماذا جئتنى يامنصور، قلت: بك . فقال الآن أجبتنى . اذهب فقد غفرت لك .

ويواصل الإمام الغزالى فى كتابه كشف علوم الآخرة فيقول « وأما الكافر إذا حضره الموت أخذت نفسه عنفاً ، وقال لها الملك : أخرجى أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث . فإذا له صراخ كصوت

الحمير ، فإذا قبضها ملك الموت ناولها زبانية قباح الوجوه فيتلقونها بعنف ، فيعرجون بها إلى سماء الدنيا فيقرع الأمين الباب فيقال من أنت ؟ فيقول : أنا الملك الموكل بزبانية العذاب ، فيقال من معك : فيقول فلان بأقبح أسمائه وأبغضها إليه فى دار الدنيا . فيقال لا أهلا ولا سهلا ولا مرحباً ولا تفتح له أبواب السماء لقوله تعالى : (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين) . فإذا سمع الأمين هذه المقالة طرحه من يده فتهوى به الريح فى مكان سحيق . فإذا انتهى إلى الأرض أخذته الزبانية ، وصارت به إلى سجين ، وهو مكان تهوى إليه أرواح الفجار .

نسأل الله أن يباعد بيننا وبين النار كما باعد بين المشرق والمغرب ، وأن يجعل أرواحنا فى عليين .

كلمة عن تلاقى الأرواح

ابن آدم :

تزود من حياتك للمعاد
وقم لله واجمع خير زاد

ولا تركن إلى الدنيا كثيرا
فإن المال يجمع للنفاد

أترضى أن تكون رفيق قوم
لهم زاد وأنت بغير زاد

يحدثنا الإمام ابن الجوزى رضى الله عنه عن تلاقى الأرواح فيقول :

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا عرج بروح المؤمن تلقته أرواح المؤمنين بالرحمة والبشرى ، كما يتلقى الغائب فى الدنيا ، ثم يقبلون عليه فيسألونه فيقولون : ما فعل فلان وما حاله ؟ فيقول بخير تركته والله على طريقة حسنة ، فيقولون : ياربنا أنت هديته لذلك فثبته عليه حتى تقبضه ، وإن سألوه عن إنسان قد مات فيقول قد هلك فيقولون (إنا لله وإنا إليه راجعون) عمل والله بغير عملنا فسلك به غير طريقنا ، ذهب والله به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية .

أعمال الأحياء والأموات

قال صلى الله عليه وسلم « تعرض على الموتى أعمالكم ، فإن رأوا خيرا استبشروا به وقالوا : اللهم هذه نعمتك فأتممها على عبدك ، وإن رأوا سيئة اغتموا لها وقالوا : اللهم راجع بعبدك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلا تخزنوا أمواتكم بأعمالكم السيئة ، فإن أعمالكم تعرض عليهم » .

فالله الله عباد الله . اجتهدوا فى اكتساب الحسنات ، واجتنبوا فى ليلكم ونهاركم السيئات ، فإن ذلك محزن الأهل والأقربين من الأموات .

الموت حتم حوضه مورود
والموت يفنى جمعنا ويبيد
والموت يحكم فى النفوس بحتفها
وله على تنفيذ ذاك جنود
والموت يفسد مهجة الملك الذى
قد عززته عساكر وجنود
وقلوبنا فى كل ذا مشغوفة
حباً لدار زهرها معقود
وإلى متى تهوى الذى هو هلكها
وإلى متى لا تنثنى وتعود

المثـــابرة

يا أخى . بالله عليك لو أتاك الحمام ولك ملك الدنيا ، أما كنت تختار عيش يوم بالجميع . فبادر مادمت فى فسحة من العمر قبل أن يضيق عليك الأمر لو صيح بك الليلة (أجب الداعى) ، أما كنت نادماً وباكياً على ما فرطت .

فالله الله عباد الله استعدوا للموت فكأنه قد نزل بكم ، فأرمـل النساء ، وأيتم الولدان ، وفرق الإخوان ، فوالله أيها الإنسان ، وإنما أنا وأنتم ذلك الإنسان ، لو لم يكن ماء ولا ظلال ولا جواب ولا . ؤال ولا نعيم ولا ثواب ولا جحيم ولا عقاب ، لكان فى الموت وسكرته ، والقبر وظلمته ، واللحد وضغطته ، ما يمنع العاقل اللبيب عن كسب الخطايا والذنوب . فكيف من وراء ذلك هول مهول ، وشرح يطول من الصور ونفخته ، والنشور وروعته ، والصراط ودقته ، ومساءلة الله تعالى للعبد وتوبيخه . فما يكون جوابك أيهـا المغرور ، وإذا وقفت بين يدى العالم الغفور الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . فأظهر لك قبائحك ، ونشر لك فضائحك ، وستشهد عليك جوارحك ، فإن عفا عنك فأنت من الفائزين ، وإن طالبك بما قدمت يداك فأنت من الخاسرين .

ويحدثنا رضى الله عنه فيقول : ذكر فى بعض الأخبار ، عن بعض السلف الصالح الأخيار ، عن النبى صلى الله عليه وسـلم أن الله

عز وجل إذا أراد قبض روح عبده الكريم عليه، وهو التقى . لأنه بالتقوى كرم عليه — دعا بملك الموت فقال : اذهب يا ملك الموت إلى عبدى فلان فائتنى بروحه ليرتاح عندى فحسبى من عمله أنى قد بلوته فى السراء والضراء فوجدته حيث أحب . فيذهب ملك الموت فيأخذ من مسك الجنة الأذخر ، وحريرها الأبيض ، فيهبط به ويهبط فى أثره خمسمائة ملك ليس فيهم ملك إلا ومعه بشارة من الله تعالى إلى ذلك الولى وليس منهم ملك يدرى ما مع صاحبه من البشارة ، وليس منهم ملك إلا ومعه صبائر من الريحان — يعنى حزما من ريحان الجنة — فإذا هبطوا أحدقوابولى الله ، وجلس ملك الموت عند رأسه ويقول له : يا ولى الله ارتحل من الدنيا ، فليست لك بدار وليست لك بوطن ، ولابد لك يا ولى الله أن تذوق كما ذاق إخوانك من قبلك . قال فملك الموت ألطف باستخراج نفسه من الوالدة بولدها . فإذا أذنت نفسه بالخروج وكانت عند ذقنه ، اكب عليه الذين جاءوا مع ملك الموت وهم خمسمائة ملك يخبرونه بالبشارة التى أرسلهم الله بها إليه ، وليس منهم ملك إلا وهو يضع على كل طائفة من جسده من صبائر الريحان الذى جاؤوا به . فإذا خرجت نفسه ، لفها ملك الموت فى ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذخر ، ثم يعرج بها إلى السماء وتثبت الملائكة الذين بشروه عند جسده عند أهله .

ويحدثنا رضى الله عنه عن ملائكة الرحمة فيقول :

فإذا دنا من السماء ، تلقاه جبريل عليه السلام فى سبعين ألف مركب من الملائكة ، فأخذ الروح منه جبريل عليه السلام فعرج به حتى

يضعه بين يدى الجبار ، تبارك وتعالى ، فيقول جل جلاله وتعالى ليس كمثله شيء لجبريل عليه السلام : اذهب فدع ولى الله فى سدر مخضود وطلح منضود فإذا حمل الرجل إلى سريره ، هبط خمسمائة ملك آخرون سوى الذين جاءوا مع ملك الموت ، فيجلسون صفين ما بين منزله إلى قبره ، يستقبلون جنازته بالاستغفار ، وإذا أدلى فى قبره ، وحثى عليه التراب ، وولى القوم ، جاءته الصلاة فكانت عن يمينه ، وجاءه الصوم فكان عن شماله ، وجاءه ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فكان عند رأسه ، وجاء مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلم وعيادة المرضى واتباع الجنائز والصدقة ، فكانوا عند رجليه ، وجاءه الصبر على ما يكره وعلى ما يحب فلم يجد مجلسا فيجلس فى ناحية من نواحى قبره ، فيخرج له من قبره عنق من العذاب فيأتى عن يمينه ، فتقول له الصلاة : إليك عنى لا سبيل لك عليه ، إنما استراح ولى الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة . ثم يأتى عن شماله فيقول الصيام إليك عنى لا سبيل لك إليه ، إنما استراح ولى الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة . ثم يأتى عند رجليه فيقول له مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلماء وعيادة المرضى واتباع الجنائز والصدقة : إليك عنا لا سبيل لك عليه إنما استراح ولى الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة . قال فلما لم ير شيئاً انقمع ودخل فى الموضع الذى خرج منه ، فيقول الصبر لهؤلاء : أما إذا كفيتموني عذاب القبر فسأكفيكموه عند الميزان إذا نصب .

الناس على مراتب
في لقاء ربهم

إلهي إن لم أكن أهلا لبلوغ رحمتك ، فإن رحمتك أهل لأن تبلغني . اجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائك . يا مقلب القلوب والأبصار ، ثبت قلوبنا على دينك .

اعلم يا أخي أن درجات الناس تختلف عند لقاء الله ، والاختلاف مبني على مقدار العمل . قال تعالى : (ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) .

يحدثنا الأستاذ الفاضل عبد الله سراج الدين عن مراتب الناس عند لقاء الله تبارك وتعالى فيقول « هنالك نوع يلقون الله تعالى بتحية وتكريم على محبة ورضوان ، وهم المؤمنون الصالحون . قال تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً) . ففي كل لقاء يلقونه سبحانه ، يكرمهم بالسلام والفضل والإنعام ، وأول اللقاءات ما كان بعد الموت .

جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه .

قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت يا نبي الله أكراهية الموت . فكلنا يكره الموت ، فقال (صلى الله عليه وسلم) ليس كذلك ،

ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته ، أحب لقاء الله ، فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله ، وكره الله لقاءه » .

وفى رواية لمسلم ، قالت عائشة رضى الله عنها : « ولكن إذا شخص البصر ، وحشرج الصدر ، واقشعر الجلد ، وتشنجت الأصابع ، فعند ذلك من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه » .

قال القاضى عياض رحمه الله تعالى : فهمت السيدة عائشة رضى الله عنها أن هذا خبر عما يكون من الأمرين فى حال الصحة فقالت : كلنا يكره الموت . فقال صلى الله عليه وسلم لها : ليس كذلك وإنما هو خبر عما يكون من ذلك عند النزع ، وفى وقت لا يقبل فيه التوبة ، فإن الله تعالى يكشف له عن كل ما يصير له . فأهل السعادة يرون ما يحبون ؛ فيحبون لقاء الله تعالى ليصلوا إلى ما رأوا ، فيحب الله لقاءهم ، وأهل الشقاء يرون ما يسوءهم ، فيكرهون لقاء الله تعالى ؛ فيكره الله تعالى لقاءهم .

ومن أكمل أهل التحية والإكرام والرضوان والإنعام — الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله تعالى — ففى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه فى قصة أصحاب بئر معونة — السبعين من الأنصار الذين قتلوا — قال أنس رضى الله عنه : ونزل فيهم قرآنا قرأناه حتى رفع : « بلغوا عنا قومنا إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » .

وروى الترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وأنا مهتم ، فقال صلى الله عليه وسلم : مالى أراك منكسراً فقلت : استشهد أبى يوم أحد وترك عيالا وديناً ، فقال : ألا أبشرك بما لقى الله به أباك ؟ قلت : بلى فقال صلى الله عليه وسلم : « ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وإنه أحيا أباك فكلمه كفاحا — أى مواجهة بغير حجاب فقال : يا عبدى تمن على أعطك ، قال يارب تحيينى فأقتل ثانية ، فقال سبحانه وتعالى : إنه سبق القول منى أنهم لا يرجعون فنزلت .

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً) .

وهناك نوع من الناس يلقون الله تعالى وهو عليهم غضبان بسبب أوامر تركوها أو محرمات ارتكبوها .

روى البزار والطبرانى ، فى الكبير بإسناد حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما قام بصرى (أى ذهب بصره) قيل له : نداويك وتدع الصلاة أياماً ، فقال : لا . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان » فتارك الصلاة يلقى الله وهو عليه غضبان .

وروى الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تحبب إلى الناس بما يحبون وبارز الله بما يكرهون لقى الله وهو عليه غضبان » فالمرائى والمنافق يلقى الله تعالى وهو غضبان عليه .

وعن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من غصب رجلا أرضاً ظلماً لقى الله وهو عليه غضبان » .

قال المنذرى رواه الطبرانى من رواية يحيى بن عبد الحميد الحمانى ، وكذلك من حلف بالله كاذباً ليقتطع به مال امرىء مسلم بغير حقه . فقد روى الإمام مسلم عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقى الله وهو عليه غضبان . ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه فى كتاب الله (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا) .

وأما الكفار فإنهم يصيرون إلى غضب الله تعالى بعد الموت كما تقوم فى الحديث .

ومن الذين يلقون ربهم بعد الموت وهو عليهم غضبان — أناس نقضوا عهد الله وتولوا وهم معرضون . قال تعالى : (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) . فقد بين الله تعالى فى هذه الآية حال الذين يعاهدون الله على التصدق والإنفاق والبذل فى طرق الخير ، وعلى إصلاح العمل مع الله تعالى — إذا تفضل عليهم فأوسع عليهم ، وأكثر لديهم الأموال ، وأخرجهم من الشدة إلى الرخاء ، ومن الضيق إلى السعة . ثم إنهم بعد ذلك ينقضون عهد الله تعالى ويخلفونه ما وعدوه ، ولا يؤدون ما التزموه ، فبخلوا

وأمسكوا وقطعوا أرحامهم ، ومنعوا وكفروا نعمة الله تعالى فلم يشكروا .

فهنالك حل عليهم غضب الله تعالى ، فضرب على قلوبهم النفاق فهو لا ينفك عنهم ، ولا ينفكون عنه إلى يوم يلقونه ، أى إلى يوم موتهم الذى فيه يلقون ربهم ، وهو سبحانه غضبان عليهم . ومن المحتم أن يكون المراد بيوم يلقونه — هو يوم موتهم لأنه لا يتصور استمرار النفاق بهم إلى ما وراء الموت إلى يوم القيامة ، لأن من مات عاين الحقيقة ودخل فى عالم اليقين وانكشفت له الأمور الإيمانية التى كان يرتاب فيها حين كان فى الدنيا .

السـؤال فى البـرزخ

جاء فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يدل قطعاً على أن سؤال القبر هو حق ، وهو يتناول المسلم والكافر والمنافق .

قال الحافظ فى الفتح : واختلف فى الطفل غير المميز ، فجزم القرطبي فى التذكرة بأنه يسأل ، وهو منقول عن الحنفية ، وجزم غير واحد من الشافعية بأنه لا يسأل . اهـ .

فيسأل الميت عن اعتقاده بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على وجه الاختبار والامتحان والفحص والتمحيص ، وهناك يدهش المسؤول أو يذهل أو يحار لهول الموقف . إلا أهل الإيمان الراسخ فإنه سبحانه يثبتهم ويلهمهم الجواب السديد .

قال الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) .

فهو سبحانه يثبت الذين آمنوا إيماناً صادقاً لا نفاقاً بالقول الثابت ، وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإن هذا هو القول الثابت كما يدل عليه الحديث الآتى ، وليس هناك أثبت من لا إله إلا الله محمد رسول الله ، بل قول لا إله إلا الله محمد رسول الله هو أثبت الثابتات ، وأقوى اليقينات ، وأقوم القطعيات ذلك لأن قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثبت بجميع الأدلة التى ثبتت بها الثابتات . فإن من المعلوم

المقرر عند أهل العلم والفكر أن الأدلة التى ثبتت بها الأمور مهما كثرت فإنها ترجع إلى أصلين عظيمين : البرهان والعيان .

ولا ريب أن الله تعالى أشهد العباد مشاهد لا إله إلا الله محمد رسول الله فى آيات الأكوان المرئية المشهودة بالعيان وفى آيات القرآن التى جاءت بالحجة والبرهان العقلى .

قال تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) . الآية .

أما تثبيتهم فى الحياة الدنيا : فهو مما يعتريهم من الوساوس والشبهات الشيطانية من قبل الإنس والجن ، وحفظهم من الزيغ والميل إلى الضلال .

وأما تثبيتهم فى الآخرة : فذلك حين يسألون فى قبورهم ، كما جاء فى الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم إذا سئل فى القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » فذلك قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) .

فالمراد بتثبيته فى الآخرة ، تثبيته عند سؤال القبر فما بعده ، لأن القبر هو أول برازخ الآخرة . روى الشيخان وغيرهما واللفظ للبخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع

نعالهم إذا انصرفوا . أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد — صلى الله عليه وسلم — فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا » أى يرى مقعده من الجنة ليفرح ويستبشر ويرى مقعده من النار ليشكر نعمة الله عليه حيث نجاه منها .

وفى رواية لمسلم : قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً ، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون . وقال صلى الله عليه وسلم : « وأما الكافر والمنافق وفى رواية وأما الكافر والمرتاب فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال : لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين » يعنى الإنس والجن .

وروى الشيخان وغيرهما عن أسماء رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

ما من شىء لم أكن أريته إلا رأيته فى مقامى هذا ، حتى الجنة والنار فأوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم مثل أو قريباً — شك الراوى عن أسماء — من فتنة المسيح الدجال يقال : ما علمت بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن لا أدرى أيهما قالت أسماء فيقول : هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبناه واتبعناه . هو محمد ثلاثاً . فيقال : نم صالحاً قد علمنا إن كنت لموقنا به ، وأما المنافق أو المرتاب

ـ لا أدرى أيهما قالت أسماء ـ فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً قلته .

وفى هذا دليل على أن محنة السؤال فى القبر عظيمة جداً ، ولذلك قال فيها صلى الله عليه وسلم « مثل فتنة الدجال » ولا ينجو ويأمن منها إلا المؤمن الصادق بعناية الله تعالى . اللهم اجعلنا منهم .

روى أبو داود فى سننه عن عثمان رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال : « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل » أما عن تلقين الميت بعد ما يدفن ، وذلك بأن يجلس إنسان عند رأسه ويقول يافلان ابن فلان ، ويا عبد الله ابن عبد الله وأمته . اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، وأنك رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا ، وبالقرآن إماماً ، وبالكعبة قبلة ، وبالمؤمنين إخواناً .

وقد استدل كثير من العلماء أيضاً على مشروعية التلقين بعد الدفن ، بما رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » .

وزاد الطبرانى فى روايته وقولوا : « الثبات الثبات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

فقالوا : الميت حقيقة هو من مات بالفعل ، وأما إطلاق الميت على المحتضر فهو من باب المجاز ، وإن كان حمل الكلام على الحقيقة هو الأصل ، لا سيما وأن بعض الروايات ترجح المعنى المجازى وبعضها يرجح المعنى الحقيقى ، فالأحوط العمل بهما معاً . كما أوضح ذلك العلامة الكمال بن الهمام رحمه الله تعالى فى فتح القدير .

وأما عن القبر وعذابه فقد جاء فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يدل قطعاً على أن نعيم القبر حق ، وعذاب القبر حق يجب الاعتقاد بهما .

أما الآيات فنذكر جملة منها ، قال الله تعالى : « فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين . فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم . إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم » .

فى هذه الآيات الكريمة بيان أصناف الناس بعد الموت ، وأنهم ما بين منعم ومعذب .

قال تعالى : « فلولا إن كنتم غير مدينين » تحت قدرة الله تعالى وحكمه (ترجعونها) أى الروح إلى جسدها بعدما فارقته وأنتم تنظرون إلى جسد الميت (إن كنتم صادقين) من أنكم تعجزون الله وأنكم لستم فى حيطة قدرته وإرادته النافذة فيكم (فأما إن كان) أى الميت

(من المقربين) وهم الذين تقربوا إلى الله تعالى بالنوافل فوق الواجبات وليس عندهم مباحات ، بل جميع أعمالهم طاعات فقربهم إليه سبحانه قرباً خاصاً كما جاء فى الحديث القدسى « وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » — الحديث — كما فى صحيح البخارى .

ويسمون بالسابقين قال تعالى (والسابقون السابقون أولئك المقربون) .

وهم الذين سبقوا بالخيرات بإذن ربهم أى بالنوافل العملية والقولية والقلبية والسمعية والبصرية ، ولنا بحث واسع حول مراتب القرب كما جاء فى الكتاب والسنة فى غير هذا الكتاب . (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) . أى فله روح أى : راحة وسرور (وريحان) : أى رزق حسن (وجنة نعيم) ينعم فيها بأنواع الملاذ والنعيم (وأما إن كان من أصحاب اليمين) وهم الذين قاموا بالواجبات وانتهوا عن المحرمات ، وليس عندهم كثرة نوافل ، وعندهم أفعال مباحة فعلوها باعتبار أنها مباحة (فسلام لك من أصحاب اليمين) أى تقول له الملائكة عند الموت : سلام لك أى لا تخف أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين . أو المعنى فسلام لك أى : مسلم لك أنت من أصحاب اليمين ، فيبشرونه بسلام وبأنه من أصحاب اليمين ، وعلى كل فهو خطاب للجنس ، أى جنس أصحاب اليمين ، أو بمعنى قوله تعالى : (فسلام لك من أصحاب اليمين) أى ثبت لك السلام وحصل ، أى فسلام لك يامن هو من أصحاب اليمين . كما نقول هنيئاً يا من هو منهم .

ولهذا أتى بحرف « من » فى قوله : (من أصحاب اليمين) والجار والمجرور فى موضع حال أى سلام لك كائناً ، أى حال كونك من أصحاب اليمين . كما تقول هنيئاً لك من أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم . أى كائناً منهم ، وإنما جىء (لك) هنا فقال (فسلام لك) ولم يؤت بعلى كما هو فى سلام التحية ، وذلك لأن المدعو به من الخير والشر قد يضاف إلى صاحبه بلام الإضافة ، أى ينسب لصاحبه باللام لتدل على حصوله له لا محالة ، ومن ذلك قوله تعالى فى الكفار (أولئك لهم اللعنة) ولم يقل عليهم اللعنة إيذاناً بحصول اللعنة وثبوتاً لهم ، ومن ذلك قوله تعالى فى الكفار (ولكم الويل مما تصفون) ويقال للمؤمنين : لكم الرحمة ، ولكم البشرى ، ولكم التحية ولكم السلام. ومنه قوله تعالى : (فسلام لك) أى ثبت السلام وحصل لك أيها المؤمن وأنت من أصحاب اليمين .

(وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم) أى فضيافته المعجلة له وهى من الحميم العذاب الذى يصهر به ما فى بطونهم والجلود (وتصلية جحيم) ، أى تغطية وغمرة له فى جحيم من العذاب . أعاذنا الله العظيم من ذلك . وفى هذا دليل عن نعيم القبر وعذابه ، وأن ذلك يحصل عقب الموت فوراً كما دلت عليه الفاء .

وقال تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) .

ذهب كثير من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم إلى أن هذا

الخطاب للنفس يقال لها عند الموت وعند النشر . روى ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو نعيم عن سعيد بن جبير قال : قرئت عن النبي صلى الله عليه وسلم آية : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) فقال أبو بكر رضى الله عنه : إن هذا لحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إن الملك سيقولها لك عند الموت » .

وروى الطبرانى وغيره عن سعيد بن جبير ، أنه لما مات ابن عباس رضى الله عنهما تليت هذه الآية على شفير القبر ، ولا يدرى من تلاها ، وقد سمعها الحاضرون كلهم . نعم تلاها الملك بأمر من الله تعالى تكرمة لابن عباس رضى الله عنهما .

وقال الله تعالى : (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) .

أى لاتمتثلون أوامرها ولاتجتنبون مناهيها استكباراً منكم وإعراضاً عنها . تقول الملائكة لهم اليوم : أى يوم موت الظالمين (تجزون عذاب الهون) وهذا صريح فى تعذيبهم فى قبورهم عقب موتهم .

وقال تعالى : (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) فالعذاب العظيم هو عذاب جهنم فى الآخرة ، وهو مسبوق بعذاب مرتين : مرة فى الدنيا ، ومرة ثانية فى القبر .

وقال الله تعالى : (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) ، وقد استدل حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وغيره من الصحابة والتابعين بهذه الآية الكريمة على إثبات عذاب القبر ، وذلك أن الله تعالى أخبر عن المنافقين والكفار أن لهم عذابين : أدنى وأكبر ، وأنه سبحانه يذيقهم الآن فى الدنيا بعض العذاب الأدنى ، وذلك بتسليط أنواع البلاء عليهم لعلهم يرجعون إلى الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح ، وأنه سبحانه يذيقهم البعض الآخر من هذا العذاب الأدنى بعد الموت وهم فى البرزخ .

أما يوم القيامة فلهم العذاب الأكبر الذى قال فيه سبحانه : (إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر) .

وقال تعالى : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) .

وهذه الآية أصل كبير فى الاستدلال على عذاب البرزخ فى القبور ، وذلك أن قوم فرعون بعدما أحاط بهم سوء العذاب ، وهو الغرق فى اليم انتقلوا بعد موتهم إلى عذاب البرزخ ، فهم يعرضون على النار صباحاً ومساءاً يمسهم عذابها ، ويلفحهم لهبها وشظاها إلى أن تقوم الساعة . فحينئذ يقول الله تعالى : (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) . وهو الصلى فى جهنم وإذاقتهم ألوان العذاب الأليم .

الأحاديث الدالة على حقيقة نعيم القبر وعذابه

فمنها ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أحدكم إذا مات ، عرض عليه مقعده بالغداة والعشى . إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار . فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل إليه يوم القيامة » .

وأما عن عذاب الكفار فى قبورهم فقد روى مسلم فى صحيحه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه ، إذ جادت به (أى مالت ونفرت) فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة . فقال صلى الله عليه وسلم من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ فقال رجل : أنا (أى أعرفهم) فقال صلى الله عليه وسلم : متى ماتوا ؟ قال فى الشرك . فقال صلى الله عليه وسلم إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه . ثم أقبل علينا بوجهه صلى الله عليه وسلم فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار . قالوا نعوذ بالله من عذاب النار . قال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . فقالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال . قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنيناً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة . لو أن تنيناً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت خضراً » .

وأما فى عذاب العصاة فى البرزخ ، فقد روى الشيخان واللفظ للبخارى عن ابن عباس قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم على قبرين ، فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير . أما هذا فكان لايستتر من بوله ، وأما هذا فكان يمشى بالنميمة . ثم دعا رسول الله بعسيب رطب فشقه باثنين فغرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً . ثم قال لعله يخفف عنهما مالم ييبسا » .

وروى أبو داود عن أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، قلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » .

ومن أسباب عذاب القبر : صلاة تصلى بغير طهور ، وعدم الانتصار للمظلوم .

روى الإمام الطحاوى بإسناده عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه . قال « أمر بعبد من عباد الله أن يضرب فى قبره مائة جلدة ، فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فضرب [illegible] عليه ناراً فلما ارتفع عنه أفاق فقال علام جلدتمونى؟

قالوا إنك صليت صلاة بغير طهور ، ومررت على مظلوم فلم تنصره » .

وفى سنن الدارقطنى عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إنه ليس من ميت يموت وعليه دين إلا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة » .

ومن أسباب عذاب القبر : الكذبة يحدث بها الكاذب فتبلغ الآفاق ، وترك العمل بالقرآن الكريم والزنا وأكل مال الربا ونحو ذلك . لما جاء فى صحيح البخارى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذانى بيدى وأخرجانى إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيضع مثله قلت : ما هذا ؟ فقالا لى : انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر فيشدخ بها رأسه ، فإذا هو ضربه تدهده — أى تفتت الحجر — فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه ، وعاد رأسه كما هو ، فعاد إليه فضربه قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله يوقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجون ، فإذا خمدت — أى النار — رجعوا . فقلت ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى وسط النهر رجل بيده حجارة ؛

فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان ، فقلت : ماهذا ؟ قالا : انطلق . فانطلقنا .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : قلت : طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت فقالا : نعم . الذى رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيصنع به أى يشق شدقه إلى يوم القيامة . قالا : والذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار . يفعل به (أى الشدخ لرأسه) إلى يوم القيامة . وأما الذى رأيت فى النقب فهم الزناة والذى رأيته فى النهر (أى نهر الدم) فآكل الربا » .

ومن أسباب عذاب القبر : الغلول وهو الأخذ من المغنم قبل القسمة . روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد حتى أتوا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها — أو عباءة — ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فناد فى الناس أنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون » .

وروى الإمام أحمد عن أبى رافع قال فى حديثه : مر النبى صلى الله عليه وسلم بالبقيع فقال : أف لك أف لك . قال أبو رافع فظننت أنه صلى الله عليه وسلم يريدنى أى بالتأفف فقال : مالك ؟ قال أبو رافع قلت : أحدثت حدثاً يا رسول الله ؟ قال وما ذاك قال : إنك قلت لى — ذاك — فقال صلى الله عليه وسلم : لا « أى أنت لم تحدث حدثاً »

ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعياً على آل فلان « أى يجمع الصدقات » فغل نمرة « أى فأخذ نمرة منها أى بردة من صوف فدرع الآن مثلها من نار » أى ألبس مثلها ناراً فى قبره .

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا البقر والغنم والماعز والمتاع والحوائط ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادى القرى ومعه عبد أهداه له أحد بنى الضباب بينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد فقال الناس هنيئاً له الشهادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده إن الشملة التى أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » .

قال علماء السلف رضى الله عنهم إذا كان صاحب الشملة التى غلها من المغنم أخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تشتعل عليه ناراً فى قبره مع أنه أخذها وله فيها حق ولكنه أخذها قبل القسمة ، فكيف بمن ظلم غيره وأخذ ماله بغير حق أصلا ، قالوا فعذاب القبر يأتى على النمام ، والمغتاب ، والكذاب ، وشاهد الزور ، وقاذف المحصن ، والمؤذى بلسانه ، وآكل الربا ، وآكل أموال الناس بالباطل ، وآكل مال اليتامى ، وشارب الخمر ، والزانى ، واللوطى ، والسارق ، والخادع ، والماكر ، ومؤذى المسلمين والمتبع لعوراتهم . وزلاتهم ، وقاتل النفس ، والملحد فى حرم الله تعالى ، والجبارين

والمتكبرين والمرائين ، والطاعنين فى شريعة الله ، والذين لايتحاشون النجاسات ، والقاطع لرحمه ، والذى لايرحم المساكين . والأرامل واليتامى ، والذى لايرحم البهائم والحيـــوانات ، والذى يشتغل بعيوب الناس عن عيب نفسه ، وبذنوبهم عن ذنوبه ، فجميع هؤلاء يعذبون فى قبورهم بجرائمهم على حسب كثرتها وقلتها وكبرها وصغرها. أ هـ . نعوذ بالله العظيم من ذلك كله ، وبهذا الحديث وأمثاله استدل الجمهور على أن عذاب القبر ونعيمه يردان على الروح والجسد ، وأن للجسم ارتباطاً بالروح بعد الموت مهما تفرقت أجزاء الجسم ، وتباعدت أو بليت وصارت تراباً ، فإنها لم تخرج عن كونها تراباً . لذلك الجسم الذى سوف يعاد فيه تارة أخرى ، وهى أجزاء معلومة عند الله تعالى، محفوظة عنده لا تلتبس عليه بغيرها سبحانه . قال تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) .

ومما يدل على عذاب القبر ونعيمه وأنهما للروح والجسم ولكن فى عالم مغيب عن أهل الدنيا إلا لمن كشف الله تعالى له عن ذلك : ما رواه الترمذى والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » فالقبر بالنسبة للمؤمن روضة من رياض الجنة يرتاض فيها على حسب إيمانه وعمله ، والقبر حفرة من حفر النار بالنسبة للكفار والمصرين على معاصيهم ، ومن المعلوم أن نعيم الجنة وعذاب النار هما يأتيان على الروح والجسم معاً بلا خلاف . فما كان من الجنة والنار فله حكمهما من حيث الجملة .

وقد اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عذاب المقبورين وأمر أن يوضع على قبرهما غصن نخل وقال لعله أن يخفف عنهما من عذابهما مالم ييبسا . الحديث

وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذاب القبر فى آخر صلاته ، وفى ذلك تعليم لأمته أن يتعوذوا بالله من عذاب القبر فى أقرب أحوالهم إلى ربهم ، وهذا حال الصلاة وما ذاك إلا لفظاعة عذاب القبر وشدة هوله . روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو فى الصلاة يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات ، اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم » .

وروى الترمذى عن أبى بكرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دبر الصلاة « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر » .

كما أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من عذاب القبر فى كل صباح ومساء . فقد جاء فى صحيح مسلم وغيره عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه كل صباح ومساء « رب أعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر . . . . »

عِـــبَرٌ بـــالغـة

العبرة الأولى :

روى أن ملك الموت ينظر اوجه العباد فى كل يوم خمس مرات . فإذا ضحك العبد الذى بعث لقبض روحه يقول له يا عجباً لك يافلان أمرت بقبض روحك ، وأنت تضحك . فالعجب كل العجب بمن الموت يطلبه والمنية تعاجله وهو من ذلك على يقين وهو يضحك ويلهو.

فالله الله عباد الله لايغرنكم طول الأمل وجدوا واجتهدوا وكونوا من الموت على وجل فإن الموت غاد ورائح ، وأنت يا أخى منه على يقين وتحقيق فلم تحيد عن مناهج الطريق .

العبرة الثـــانية :

جاء فى بعض الأخبار أن الميت يُنادى إذا وضع على المغتسل : أين لسانك الفصيح ما أسكتك ؟ أين صوتك الشجى ما أخرصك ؟ أين ريحك العطر ما أنتنك ؟ أين حركاتك ما أسكنك ؟ أين أموالك الكثيرة ما أفقرك ؟ الويل لك إن كنت عاصياً والبشرى لك إن كنت طائعاً . وتناديه الملائكة إذا وضع فى القبر : يا عبد الله أنت تركت الدنيا ، أم الدنيا تركتك . أنت جمعت الدنيا، أم الدنيا جمعتك ؟ أنت استعددت للمنية ، أم المنية عاجلتك ؟ خلقت من التراب وأعدت للتراب .

خلقت من التراب بغير ذنب وعدت إلى التراب ولى ذنوب
فمالى لا أجاهد فى خلاصى بعزم للمعاصى لا أتوب
ومالى أثقلت ظهرى ذنوب ومنها لا أمل ولا أنيب
ومالى لا أرق لسوء حالى ومن نفسى على غداً رقيب
ومالى مبعد مقصى طريد وفى كل القبائح لى ضروب
وكم بالصبر تسوينى ومطلى ولا أدرى بما تأتى الغيوب
فيا من ليس لى رب سواه عليم بالذى أدعو يجيب
تجاوز يا إلهى عن ضعيف بغفران لعل عسى أتوب
وهب لى زلتى وعظيم جرمى فأنت الواحد الفرد القريب

فيا أحبتى : لا تغفلوا عن ذكر الموت وتفكروا فيه قبل الفوت فو الله ما بين أحدكم وبين طول الأسف والندامة على ما قد سلف إلا أن تنزل به المنية غدوة أو عشية . فعظ نفسك قبل حلول الرزية .

وقد قيل فى قوله تعالى : (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) .

قيل : الأجل القريب عند كشف الغطاء يقول العبد عند الموت : يا ملك الموت ، أخرنى يوماً أعمل فيه صالحاً لنفسى . فيقول ملك الموت فنيت الأيام فلا يوم ، فيقول أخرنى ساعة ، فيقول فنيت الساعات فلا ساعة ، فيقول اتركنى أتكلم ، فيقول فرغ كلامك فلا كلام . فتبلغ الروح الحلقوم .

العبرة الثـــالثة :

قال أحد الحكماء فى قصيدة عصماء يذكر فيها بالدار الآخرة : جاء رجل إلى الإمام على كرم الله وجهه وقال له : يا إمام لقد اشتريت داراً وأرجو أن تكتب لى عقد شرائها بيديك ، ونظر الإمام إليه بعين الحكمة الباصرة ، فوجد الدنيا قد تربعت على عرش قلبه ، وملكت عليه أقطار نفسه ، فكتب قائلا يريد أن يذكره بالدار الباقية ، كتب بعد ما حمد الله وأثنى عليه :

« أما بعد فقد اشترى ميت من ميت داراً فى بلد المذنبين ، وسكة الغافلين ، لها أربعة حدود . الحد الأول : ينتهى إلى الموت ، والثانى : ينتهى إلى القبر ، والثالث : ينتهى إلى الحساب ،والرابع : ينتهى إما إلى الجنة وإما إلى النار . فبكى الرجل بكاءاً مراً وعلم أن الإمام أراد أن يكشف الحجب الكثيفة عن قلبه الغافل ، فقال يا أمير المؤمنين أشهد الله أنى قد تصدقت بدارى هذه على أبناء السبيل . فقال له الإمام الحكيم هذه القصيدة العصماء :

النفس تبكى على الدنيا وقدعلمت ... أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعـــدالموت يسكنها ... إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بنـــاها بخير طاب مسكنه ... وإن بناها بشر خاب بانيهـــا
أين الملوك التى كانت مسلطنة ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنـــا لذوى الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهـــر نبنيها
كم من مدائن فى الآفاق قد بنيت ... أمست خراباً وأفنى الموت أهليها

لكل نفس وإن كانت على وجل ... من المنية آمال تقويها
المرء يبسطها والدهر يقبضها ... والنفس تنشرها والموت يطويها
إن المكارم أخلاق مطهرة ... الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والفضل ساديها
والبر سابعها والشكر ثامنها ... والصبر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أنى لا أصادقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها ... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار غداً رضوان خازنها ... والجار احمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن محض ومن عسل ... والخمر يجرى رحيقاً فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفة ... تسبح الله جهراً فى مغانيها
من يشترى الدار فى الفردوس يعمرها ... بركعة فى ظلام الليل يحييها

والآن الى الأسباب المنجية من عذاب القبر

بعد ما فرغنا من الكلام عن أحوال القبر وما يجرى وراء البرزخ . يجدر بنا أن نذكر الجانب الآخر ، وهو الجانب المشرق لتكون حياة المؤمن دائرة حول ترغيب فى رحمة الله ، وترهيب من عذابه ، وبين نور الوعد ونيران الوعيد ترتقى النفس ، دون يأس أو غرور .

أولا : البعد عن أسباب عذاب القبر والتطهر من الذنوب والمعاصى بالتوبة النصوح ، وشروطها الندم على فعل الذنب ، والإقلاع عنه والعزم على أن لا يعود إلى فعله . قال الله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما) .

ثانيا : من جملة أسباب النجاة من عذاب القبر : الموت فى سبيل الله ، والمرابطة فى سبيل الله تعالى .

روى الإمام مسلم عن سلمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أجرى عليه عمله . الذى كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان » أى من فتنة القبر ومحنته وعذابه وشدته .

وعن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للشهيد ست خصال : يغفر له من أول دفعة

من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار : الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع فى سبعين من أقاربه » .

ثالثاً : المواظبة على تلاوة تبارك الملك كل ليلة .

قال ابن عباس رضى الله عنهما « ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباء على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها . فأتى الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : ضربت (أى نصبت ووضعت) خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هى (أى سورة تبارك) المانعة ، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر » رواه الترمذى .

رابعاً : الإكثار من قول لا إله إلا الله .

فقد روى الطبرانى والبيهقى عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ، ولامنشرهم ، وكأنى أنظر إلى أهل لا إله إلا الله وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن . وفى رواية : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا عند القبر » .

وقد روى الحافظ الفقيه المالكى الزاهد الورع الشيخ عبد الحق الأشبيلى عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن جده زين العابدين عن أبيه الحسين بن على بن أبى طالب أمير المؤمنين رضى الله عنه ، يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال كل يوم وكل ليلة لا إله إلا الله الملك الحق المبين كان له أماناً من الفقر وأنساً من وحشة القبر ، واستفتح به الغنى واستقرع به باب الجنة » .

خامساً : عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة ، أو ليلة الجمعة ، إلا وقاه الله فتنة القبر » رواه الترمذى .

وروى الحافظ أبو نعيم عن جابر مرفوعا : « من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء » .

عظمة الاستعداد للموت

إذا علمت ما تقدم وجب عليك أن تأخذ الزاد للقاء الله تعالى .

عباد الله . قد آن وقت التحويل إلى الوقوف بين يدى الملك الجليل ، فأنفاسكم معدودة عليكم ، وملك الموت قاصد إليكم يركلكم بكلكله ، ولابد لكم من منهله ، يقطع آثاركم ، ويخرب دياركم ، فرحم الله عبداً نظر لنفسه ، وقدم لغده من أمسه قبل حلوله فى رمسه ، وعمل فى العمر اليسير لليوم العبوس القمطرير ، وسأل المغفرة من السميع البصير الذى هو على كل شىء قدير ، وهو مولانا ومولاكم ونعم المولى ونعم النصير .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا تقارب الزمان انتقى الموت خيار أمتى كما ينتقى أحدكم خيار الرطب من الطبق ، فإنا لله وإنا إليه راجعون الذى أذهب عنا الأخيار ، وبقينا فى غمار مع الأشرار ، فلا للموت نعمل قبل إتيانه ، ولا أحد منا يقلع عن عصيانه . ما هذه أفعال المؤمنين ، ولا هذه سيرة الموقنين . قد أضلنا عدونا الشيطان اللعين ، وخدعنا بمكره وأغوانا أجمعين .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قبض الله روح عبده المؤمن ، صعد ملكاه إلى السماء فقالا : ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن فلان نكتب عمله وقد قبضته إليك فائذن لنا أن نصعد إلى السماء ، فيقول الله عز وجل : سمائى مملوءة بملائكتى يسبحونى. فيقولون :

فائذن لنا أن نسكن الأرض . فيقول عز وجل : أرضى مملوءة من خلقى فيقولون : ياربنا أين نكون ؟ فيقول عز وجل : قوما عند قبر عبدى فسبحانى واحمدانى وهللانى واكتبا ثواب ذلك لعبدى إلى يوم القيامة ».

فالحمد لله الذى جعلنا من أمة محمد المصطفى وحسبنا بهذا فضلا ، وكفى بكتاب مولانا لأمواتنا الحسنات ، ويجعل الموت لهم كفارة لما سلف من السيئات .

عباد الله : إلى متى هذا الصدود عن طاعة الملك المعبود والغفلة عن بحر الموت المورود ، فارحموا أنفسكم قبل التلف وابكوا عليها قبل الأسف ، فإن السفر بعيد وهول المطلع فظيع شديد ، والزاد قليل ، والهم والحزن طويل ، وبعد ذلك اليوم العبوس الثقيل . يا أخى لكل حى قوت وأنت يا مسكين قوت الموت ، فاعمل للموت قبل الفوت .

واعلم يا أخى أن من أكثر الفكرة فى الموت هون الله عليه سكراته ، وجعله منه على حذر ، ومن غفل عن ذكره يوشك أن يأتيه فجأة على غير أهبة ولا استعداد . فالله الله . قد انصرمت عنكم أعماركم وأنتم لا تشعرون . فإن اتبعتم هموم الدنيا حتى تفرغ فإنها لا تفرغ أبدا ، ولو عشتم إلى أن تنقرض الدنيا ، فتفرغ يامسكين فى اليسير من الأيام ، ودارك أمرك مع مولاك قبل نزول الحمام .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها الناس بادروا بالتوبة قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه .

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً عند مريض فرأى ملك الموت عند رأسه فقال له : يا ملك الموت ارفق بصاحبي . فقال له يا محمد : أنا بكل مؤمن رفيق . فالله الله . لا تغفلوا عمن ليس يغفل عنكم ولا تنسوا الموت فإنه لا ينساكم . وفقنا الله وإياكم لحسن العمل والفعال . وهدانا وإياكم لصالح الأعمال ، إنه الجواد الكريم المفضال .

ذكر فى بعض الأخبار أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، دخل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم قتل ، فقال أبشر يا أمير المؤمنين . قال : بماذا ؟ قال : آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم حين كفر به الناس ، وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ، ولم يختلف على خلافتك اثنان وقتلت شهيداً ، فقال له عمر رضى الله عنه : أعد على ما قلت : فأعاد عليه فقال : والذى لا إله غيره لو أن لى ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع . فإذا كان هذا قول عمر رضى الله عنه إمام السنة ، وحبيب الأمة ، وسراج أهل الجنة فى الجنة قال هذا عند الفراق والانقطاع ، وأشفق من هول المطلع ، فكيف بأهل اللهو واللعب والبهتان والكذب أمثالنا الذين قطعوا أعمارهم فى الذنوب ، وأفنوا أعمارهم فى معصية علام الغيوب ، وغفلوا عن القبور ، ولم يتفكروا فى هول يوم النشور .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : أرحم ما يكون المولى جل جلاله بعبده إذا دخل قبره وتفرق الناس وأهله ، فمن أكثر

من ذكره وجده روضة من رياض الجنة . وما من يوم إلا والأرض تنادى بخمس كلمات :

يا ابن آدم تمشى على ظهرى ومصيرك إلى بطنى . يا ابن آدم تضحك على ظهرى وسوف تبكى فى بطنى .

يا ابن آدم تفرح على ظهرى وسوف تحزن فى بطنى .

يا ابن آدم تذنب على ظهرى وسوف تعذب فى بطنى .

يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهرى وسوف يأكلك الدود فى بطنى .

يا ابن آدم كم من محسود فى حياته يود إذا نزل فى حفرته لو كان كل ما جمعه وخلفه لأعدائه وحساده ، فكم من تارك لعياله مايصلحهم لمعاده ويكون هو فى قبره أو فى رمسه مثبوراً .

يا أخى تفكر فى تلك الأكفان ، وتغير الروائح وصولة الديدان ، ونهش العقارب والحيات ، والكون تحت أطباق الثرى والظلمات وانظروا إلى أحبابكم بسط الأرماس كيف عدموا الإناس والحراس ، وانقطعت عنهم الحركات ، وسكنت منهم الأنفاس .

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما . تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً » .

لما كان الذكر هو طريق النجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . رأينا أن نسجل على هذه الصفحات ما يعلق بهذا الباب من أحكام شرعية دعت الحاجة إليها ، وذلك حتى نطبق العلم على العمل والنظرية على الحقيقة .

فنقول وبالله التوفيق .

الذكر هو ما يجرى على اللسان والقلب من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه، ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال .

وقد أمر الله بالإكثار منه فقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا) .

وأخبر أنه يذكر من يذكره فقال : (فاذكرونى أذكركم) . وقال فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى ومسلم : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ، ذكرته فى ملأ خير منه، وإن اقترب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن اقترب إلى ذراعاً اقتربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة .

وأنه سبحانه اختص أهل الذكر بالتفرد والسبق ، فقال صلى الله عليه وسلم « سبق المفردون » قالوا وما المفردون يا رسول الله . قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » رواه مسلم .

وأنهم هم الأحياء على الحقيقة . فعن أبى موسى أن النبى صلى الله

عليه وسلم قال : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ؛ مثل الحى والميت » رواه البخارى .

والذكر رأس الأعمال الصالحة ، من وفق له فقد أعطى منشور الولاية ، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ، ويوصى الرجل الذى قال له : إن شرائع الإسلام قد كثرت على ، فأخبرنى بشىء أتشبث به ، فيقول له : « لايزال فوك رطباً من ذكر الله » .

ويقول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى يارسول الله قال : ذكر الله .

وأنه سبيل النجاة . فعن معاذ رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل » رواه أحمد .

وعند أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إن ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش ، لهن دوى كدوى النحل ، يذكرن بصاحبهن . أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به ؟

وقد أمر الله جل ذكره بأن يذكر ذكراً كثيراً ، ووصف أولى

الألباب الذين ينتفعون بالنظر فى آياته بأنهم (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) .

(والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) .

وقال مجاهد : لا يكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هـذه الآيات قال : إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ، وعذر أهلها حال العذر ، غير الذكر فإن الله لم يجعل له حداً ينتهى إليه ، ولم يعذر أحداً فى تركه إلا مغلوباً على تركه فقال :

(اذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) ، أى بالليل والنهار وفى البحر والبر ، وفى السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية وعلى كل حال .

وقد شمل الذكر كل الطاعات .

قال سعيد بن جبير : كل عامل لله طاعة لله فهو ذاكر لله . وأراد بعض السلف أن يخصص هذا العام ، فقصر الذكر على بعض أنواعه ، منهم عطاء حيث يقول : مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام : كيف تشترى وكيف تبيع ، وكيف تصلى وتصوم وتتزوج وتطلق وتحج وأشياء ذلك .

وقال القرطبي : مجلس ذكر يعنى مجلس علم وتذكير ، وهى المجالس التى يذكر فيها كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبار السلف الصالحين ، وكلام الأئمة الزهاد المتقدمين المبرأة عن التصنع والبدع ، والمنزهة عن المقاصد الردية والطمع .

آداب الذكر

المقصود من الذكر تزكية الأنفس ، وتطهير القلوب ، وإيقاظ الضمائر . وإلى هذا تشير الآية الكريمة :

(وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) .

أى أن ذكر الله فى النهى عن الفحشاء والمنكر أكبر من الصلاة ، وذلك أن الذاكر حين ينفتح لربه جنابه ، ويلهج بذكره لسانه ، يمده الله بنوره فيزاد إيماناً إلى إيمانه ، ويقينا إلى يقينه ، فيسكن قلبه للحق ويطمئن به (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

وإذا اطمئن القلب للحق اتجه نحو المثل الأعلى وأخذ سبيله إليه دون أن تلفته عنه نوازع الهوى ، ولا دوافع الشهوة .

ومن ثم عظم أمر الذكر وجل خطره فى حياة الإنسان . ومن غير المعقول أن تتحقق هذه النتائج بمجرد لفظ يلفظه اللسان . فإن حركة اللسان قليلة الجدوى ما لم تكن مواطئة للقلب وموافقة له ، وقد أرشد الله إلى الأدب الذى ينبغى أن يكون عليه المرء أثناء الذكر فقال : ﴿ واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) .

والآية تشير إلى أنه يستحب أن يكون الذكر سراً لا ترتفع به الأصوات ، كما تشير إلى حالة الرغبة والرهبة التى يحسن بالإنسان أن يتصف بها عند الذكر .

ومن الأدب أن يكون الذاكر نظيف الثوب ، طاهر البدن ، طيب الرائحة ، فإن ذلك مما يزيد النفس نشاطاً . ويستقبل القبلة ما أمكن فإن خير المجلس ما استقبل به القبلة .

استحباب الاجتماع
فى مجالس الذكر

يستحب الجلوس فى حلق الذكر . وقد جاء فى ذلك عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قالوا وما رياض الجنة يارسول الله ؟ قال : « حلق الذكر ـ فإن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم » .

وروى مسلم عن معاوية أنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟

قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا .

قال : « آلله . ما أجلسكم إلا ذاك ، أما إنى لم استحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة .

وروى أيضاً عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

فضل من قال
لا إله إلا الله مخلصًا

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر » . (رواه الترمذي) .

وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « جددوا إيمانكم »

قيل يا رسول الله : وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله » . (رواه أحمد باسناد حسن) .

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » .
(رواه النسائي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد) .

فضل التسبيح والتحميد
والتهليل والتكبير

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن :
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » . (رواه الشيخان والترمذى).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ،
أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » . (رواه مسلم والترمذى) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ قلت : أخبرنى يارسول الله .
قال : « إن أحب الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده » .
(رواه مسلم والترمذى) .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« من قال سبحان الله العظيم وبحمده . غرست له نخلة فى الجنة »
(رواه الترمذى وحسنه) .

وعن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « استكثروا من
الباقيات الصالحات . قيل ما هن يا رسول الله ؟
قال : التكبير والتهليل والتسبيح ، والحمد لله ولا حول ولا قوة
إلا بالله » . (رواه النسائى والحاكم) .

وعن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لقيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال : يا محمد أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » رواه الترمذى والطبرانى . وزاد « ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

وعند مسلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أحب الكلام إلى الله أربع ـ لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » .

(رواه البخارى ومسلم) .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة ؟

فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يارسول الله .

فقال صلى الله عليه وسلم : الله الواحد الصمد ثلث القرآن » .

(رواه البخارى ومسلم والنسائى) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » .

(رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه) .

وزاد مسلم والترمذي والنسائي : « ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة ، حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر » .

فضـــل الاستغـفار

عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى إلا غفرت لك ـ على ما كان منك ـ ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً ، لأتيتك بقرابها مغفرة » (رواه الترمذى) .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » . (رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة والحاكم) .

الذكر المضاعف وجوامعه

عن جويرية رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال : « ما زلت على الحال التى فارقتك عليها ؟

قالت : نعم . قال النبى : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » .

(رواه مسلم وأبو داود) .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح الله به فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هـذا أو أفضل فقال : « سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، وسبحان الله عدد ما خلق بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك »

(رواه أصحاب السنن والحاكم) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبداً من عباد الله قال : يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك فعضلت بالملكين ، فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى السماء فقالا يارينا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها ؟ قال الله ـ وهو أعلم بما قال عبده ـ ماذا قال عبدى ؟ قالا : يارب إنه قد قال : يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك . فقال الله لهما : أكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها » . (رواه أحمد وابن ماجه) .

وعن بسيرة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة واعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات » .

(رواه أصحاب السنن والحاكم بسند صحيح) .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيمينه .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم ، إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة » .

رواه الترمذى وقال حسن ورواه أحمد بلفظ « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه إلا كان عليهم ترة ، وما من رجل يمشى طريقاً فلم يذكر الله تعالى إلا كان عليه ترة ، وما من رجل آوى إلى فراشه فلم يذكر الله عز وجل إلا كان عليه ترة ، وفى رواية : إلا كان عليهم حسرة » .

وفى فتح العلام : الحديث دليل على وجوب الذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى المجلس لاسيما فى تفسير الترة بالنار أو العذاب فقد فسرت بهما فإن التعذيب لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محظور ، وظاهرة أن الواجب هو الذكر والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم .

ذكر كفارة المجلس

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أنت أستغفرك وأتوب إليك ، إلا كفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك » .

ما يقوله من اغتاب أخاه المسلم

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته ، تقول : اللهم اغفر لنا وله » .

والمذهب المختار أن الاستغفار لمن اغتيب وذكر محامده يكفر الغيبة ولا يحتاج إلى إعلامه أو استسماحه .

من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبعد أيها القارىء فإننا تيمناً برسول الله صلى الله عليه وسلم نختم كتابنا هذا بمجموعة مباركة ختم بها الإمام النووى كتابه الشهير : « الأفكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار » .

١ — عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

٢ — عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما

مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه . ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله تعالى محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » . (رويناه فى صحيحيهما) .

٣ — عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ، فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

٤ — عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » .

٥ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

٦ — عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

٧ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم) ، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟

٨ — عن تميم الدارى رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

٩ — عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم » .

١٠ — عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ؟ فقال : « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » .

١١ — عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « لايحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

١٢ — عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى».

١٣ — عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » .

١٤ — عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ولكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر » .

١٥ — عن قبيصة بن معبد رضى الله عنه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جئت تسأل عن البر والإثم ؟ قال : : نعم ، فقال : « استفت قلبك . البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » .

وفى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى

صلى الله عليه وسلم قال : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

١٦ — عن شداد بن أوس — رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

١٧ — عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أوليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

١٨ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أوصنى . قال : لا تغضب ، فردد مراراً . قال : لا تغضب » .

١٩ — عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » .

٢٠ — عن معاذ رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله . أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار ؟ قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ،

وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل . ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ (يعملون) .

ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه : الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يارسول الله . فأخذ بلسانه قال : كف عليك هذا : فقلت يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم إلاحصائد ألسنتهم ؟ » .

٢١ — عن أبى ذر ومعاذ رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

٢٢ — عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . فقلنا يارسول الله: كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجز ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة ».

٢٣ — عن أبى مسعود البرى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

٢٤ — عن جابر رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أرأيت إذا صليت المكتوبات ، وصمت رمضان ، وأحللت الحلال ، وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً . أدخل الجنة؟ قال نعم » .

٢٥ — عن سفيان بن عبد الله رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك .

قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » .

٢٦ — عن ابن عباس رضى عنه قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوماً فقال « يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء ، لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء ، لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

٢٧ — وفى رواية غير الترمذى زيادة « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن يصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وفى آخره واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

٢٨ — عن أبي ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

« يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ياعبادى إنكم الذين تخطئون بالليل والنهار وأنا الذى أغفر الذنوب ولا أبالى فاستغفرونى أغفر لكم ، ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم ياعبادى لوأن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، لم ينقص ذلك من ملكى شيئاً . ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك فى ملكى شيئاً . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان منهم ما سأل ، لم ينقص ذلك من ملكى شيئاً ، إلا ما ينقص البحر أن يغمس المخيط فيه غمسة واحدة . يا عبادى إنما هى أعمالكم أحفظها عليكم ، فمن وجد خيراً فليحمد الله عز وجل ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

قال أبو مسهر : قال سعيد بن عبد العزيز : كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه .

٢٩ — عن عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » .

٣٠ـ قال صلى الله عليه وسلم «طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا » .

هكذا كان الختام مسكاً لأنه ختام من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

ربنا سمعنا وأطعنا فاغفر لنا وارحمنا .

حينما بدأنا نشر هذه السلسلة من كتب فضيلة الشيخ كشك فاتنا ان نذكر تسلسل حياته .. لانه غنى عن التعريف .. ولكن استجابة لرسائل القراء التى تصلنا من مختلف انحاء العالم الاسلامى والتى تطالبنا بمعرفة حياة الداعية الكبير نقدم لهم حياة المؤلف فى سطور :

- عبد الحميد عبد العزيز محمد كشك .
- من مواليد بلدة شبراخيت محافظة البحيرة عام ١٩٣٣ .
- التحق بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، حيث اتم حفظه القرآن وهو فى الثانية عشرة من عمره .
- التحق بالقسم الابتدائى بمعهد الاسكندرية الدينى .
- وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، انعم الله عليه بفقد البصر ، فواصل الطريق فى طلب العلم بجد ومثابرة ، بعد ما قضى حولين من عمره يطلب العلاج ، ولكنه حمد الله على قدره ، فان الله يعوض عن نور البصر ذكاء البصيرة .
- التحق بمعهد القاهرة الثانوى ، وكان الاول على فرقته دائما ، وحصل على مجموع ماثة فى المائة عندما انتقل من الثالثة الى الرابعة فى القسم الثانوى ، وفى الشهادة الثانوية حصل على مجموع ٩٨٪ .
- التحق بكلية اصول الدين ، حيث حصل على الشهادة العالية، وكان ترتيبه الاول ، ومثل الازهر الشريف فى عيد العلم عام ١٩٦١ .
- حصل على شهادة العالمية مع تخصص التدريس العالى .
- عمل اماما وخطيبا بمساجد وزارة الأوقاف .
- خطيب وامام مسجد عين الحياة (المالك سابقا) منذ عام ١٩٦٤

والآن يوجه دعوته على منبر مسجد عين الحياة بشارع مصر والسودان بالقاهرة .

الناشر

الفهرس

صفحة

مقـــدمة ٥
ما هو البرزخ ٦
لقـــاء الله ١٢
الى أين تصير الأرواح ١٩
كلمة عن تلاقى الأرواح ٢٤
أعمال الأحياء والأموات ٢٥
المثـــابرة ٢٦
الناس على مراتب فى لقاء ربهم ٢٩
السؤال فى البرزخ ٣٤
الأحاديث الدالة على حقيقة نعيم القبر وعذابه . . ٤٣
عبر بالغـــة ٥٠
الأسباب المنجية من عذاب القبر ٥٤
عظمة الاستعداد للموت ٥٧
أدب الـــذكر ٦٥
استحباب الاجتماع فى مجالس الذكر ٦٧
فضل من قال لا اله الا الله مخلصا ٦٨
فضل التسبيح والتحميد والتهليل ٦٩
فضـــل الاستغفار ٧٢
ذكر كفارة المجلس ٧٥

مطابع الأهرام التجارية
القاهرة